مكتبة البنين
قسم الدوريات
غير مصرح باعارتها من المكتبة

حولية كلية التربية

تصدر عن كلية التربية
بجامعة قطر

السنة السابعة العدد السابع ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

أنماط التنشئة الأسرية السائدة في المجتمع العربي

د . كافية رمضان

أستاذ مساعد

كلية التربية - جامعة الكويت

أنمـاط التنشـئة الأسـرية السـائدة
في المجتمـــع العـــربي

□ مقدمـــــة □

أن أولئك الذين يحلمون بغد أفضل لمجتمعاتهم يركزون على الطفولة صانعة المستقبل فهي التي تستطيع أن تحول الحلم إلى حقيقة إذا أعدت إعداداً جيداً يهيؤها لحمل أعباء التغيير والتطوير .

وأمم كثيرة إنطلقت من هذا المنطلق وركزت على الطفل في تنشئته ، وتعليمه ، وإعداده للمستقبل فاستطاعت أن تغير واقعها وتحسنه .

والذين يدرسون مرحلة الطفولة مازالوا يبحثون في تلك العلاقة الحميمة التي تربط الطفل بأسرته محاولين تعرف أثر الأسرة في تكوين شخصية الطفل .

ونحن في هذا البحث سنكون وجهاً لوجه أمام الأسرة العربية فهي مركز إهتمامنا ، ومحط آمالنا ، مع إدراكنا التام أن هناك من يدين الأسرة العربية ويعتبرها وراء كل تخلف ، وكل هزيمة إلا أننا لا نستطيع أن نقطع بذلك دون أن نتخذ من العلم سبيلاً لمعالجة قضايانا المعقدة .

فنحن جميعاً نأمل ولاشك بأن نغير واقع الطفولة في الوطن العربي ليكون واقعاً أفضل من أجل مستقبل أفضل ، وهذا التغيير يبدأ من الأسرة وأن كانت ليست وحدها المسئولة عنه .

فالمتتبع لظروف الأسرة العربية يجد أن هنالك واقعاً سيئا تعيشه هذه الأسرة إلا أن المنطلق العلمي يستدعي البحث فيمن صنع هذا الواقع السيئ أو تسبب فيه .

فهل الأسرة قادرة وحدها على التغيير ؟ وهل هي حاكمة أم محكومة ؟

من أجل تتبع عناصر الإجابة عن هذه الأسئلة كان هذا البحث الذي يود أن يعرض الحقائق بخيرها وشرها ، والظروف التي تحيط بها وتؤثر فيها .

● **تحـديد المشـكلة :**

أن المشكلة التي تعالجها هذه الدراسة هي البحث في الإجابة عن الأسئلة الآتية :

١ - مـا واقـع الأسرة العربيـة وإلى أي مـدى ينعكس على قـدرتهـا على التنشئـة الأسريـة السليمة ؟

٢ - مـا أنمـاط التنشئـة الأسريـة السـائـدة في المجتمع العربي ؟ وإلى أي مـدى تتـأثر بـذلـك الواقع ؟

● **تنظـيم الدراسـة :**

١ - تهتم هذه الدراسة بتتبع واقع الأسرة العربية لتتعرف المعوقات التي تعترض سبيلها والتي تحول بينها وبين التنشئة الأسرية السليمة ، ولذا ستعرج الدراسة على ما يلي :

أ - الواقـع الثقـافي .

ب - الواقـع الاجتمـاعي .

جـ - الواقـع الاقتصـادي .

د - الواقـع الصحـي .

٢ - تستعرض هذه الدراسة أنماط التنشئة الأسرية السائـدة في المجتمع العربي من واقع الـدراسـات الميدانية الكثيرة التي شملت مناطق ممتدة من أرجاء وطننا العربي بحيث تستخلص منها أبرز ما توصلت إليه في سبيل تحديد أكثر أنماط التنشئة الأسرية شيوعاً في هذا المجتمع .

٣ - تخلص هذه الـدراسـة إلى عرض أبرز النتـائج التي وصلت إليهـا والتي تبين العلاقـة بين واقع الأسرة العربية وشيوع أنماط معينة من التنشئـة الأسريـة ، ثم تتوجـه ببعض التوصيـات من وحي ما تصل إليه من نتائج .

● **التنشـئة الأسـرية : (تحديد مفهـوم المصطـلح)**

التنشئة الأسرية تعني تهيئـة المنـاخ الملائم للطفل داخل الأسرة ليشب صحيح الجسم والعقل والنفس ، وإتاحة الفرص له حتى يتفاعل مع مجتمعـه ووسطـه تفـاعلاً ايجـابيـاً سليـماً ، وتلبيـة حـاجـاتـه الأسـاسيـة المتمثلـة بـالغـذاء والكسـاء والسكن والتعليم والحب والحريـة والسعـادة . (١ : ٩٢) .

● أهميـــة التنشـــئة الأســـرية :

أن التنشئة الأسرية تستدعي البحث في عاملين أساسين :

أولهمـا : الأسرة بوصفها أهم العوامل المؤثرة في تكوين شخصية الطفل .

وثانيهما : الطفل بوصفه المتأثر عرضاً أو قصداً بوالديه .

لكن الأسر ليست واحدة فهي تختلف من وسط إلى وسط . كذلك الطفل ليس واحداً فهو يختلف باختلاف الوسط الذي يعيش فيه ، وبحسب ما آل إليه من موروثات .

ولكن يبقى دور الأسرة حاسماً وواضحاً خـاصـة في السنوات الأولى من حيـاة الطفل تلـك التي تتشكل بهـا أبرز معـالم شخصيتـه ، إذ تشير الـدراسـات أن 80 ٪ من شخصيـة الطفـل انما تتشكل في السنوات الثاني الأولى من عمره وأن هـذا التشكل يخضع لإعتبـارات تتصل بشخصيـة الطفل من جهة ، وللمؤثرات التي تحيط به من جهة أخرى (2 – 249).

وتأتي أهمية الأسرة من كونها الوسيط الأول من وسائط نقل ثقـافـة المجتمع إلى الطفل . فهي المجتمع الأنساني الأول الذي يمارس فيه الطفل أولى علاقـاتـه الإنسانية . ومن خلال الاحتكاك الدائم بالوالدين تتكون المفاهيم لدى الطفل وأهمهـا مفهومـه عن ذاتـه وعن الجمـاعـة المحيطـة بـه بمبـادئهـا وتقـاليـدهـا . وتبـدأ استجـابـة الطفل للمؤثرات الأسريـة منـذ أن يكـون في المهـد ، ويكتسب لغة التخاطب في الأشهر الأولى ثم يمارسها شيئاً فشيئاً ، وتنمو لديه هـذه اللغـة بقـدر نجـاحـه في التواصـل والتفـاعـل الاجتماعي ، وبقـدر مـا زود بـه من إحسـاس وإدراك وتفكير وذاكرة . كما يكتسب القيم الـدينيـة والخلقيـة عن طريق التقمص والتوحـد والاقتـداء . وتنقل الأسرة إلى الطفل القيم الإجتماعية السائـدة والأفكار والمعتقـدات والإتجـاهـات في الوسـط الـذي تعيش فيه ، فهي بذلك تساهم بتشكل الثقافة القومية لدى الطفل (3 : 183) .

أما عن العوامل المؤثرة في التنشئة الأسرية فمنها ما يتصل بـالوالـدين كالمستوى الاقتصـادي والاجتماعي ، أو نمط الشخصيـة ، أو الوعي التربوي مثلا . ومنهـا مـا يتصل بـالطفل كـدرجـة الذكاء ، والصحـة أو الإعـاقـة أو ترتيبـه بين أخوتـه . ومنهـا مـا يتصل بـالمجتمع كمستوى الوعي العام ، ودرجة ثراء البيئة مادياً ومعنوياً .

● **دراســـــة الواقـــــع :**

إذا أردنـا دراسـة واقـع الأسرة العربيـة ، فنفضـل أن نطـل عليـه **في ظـل الأحـوال السياسية** ، فهنالك الحدود المشيدة بين الأقطار العربية ، والوحدة الحلم ، والقوى الاستعمارية التي تسعى إلى التجزئة والتفتيت وتشويه الحلم بكل وسيلة ممكنة ، وزرع القلق الدائم مما يـأتي به الغد ، واشعال الفتن والحروب .

ترى ما واقع الأسرة العربية في ظل هذه الظروف السيئة ؟

هنالك خمسة وثمانون مليون طفل عربي يحيون في رعاية شعب يوصف بـأنـه فتى ، والفتوة تعني العطاء والإنتاج والتقدم لكن الواقع لا يخلو من بعض السلبيات .

لماذا ؟ لننظر إلى واقع الأسرة العربية فقد يكون لديه الجواب .

(الواقـــع الثقـــافي)

فالواقع الثقافي يشير إلى أن الأمية مستشرية في القاعدة والسفح والهرم وأكثر من نصف الرجال أميون وثلاثة أرباع النساء أميات . واستيعـاب المقبلين على التعليم في المـدارس قـاصر بنسبـة تلفت النظر . إذن فمنابع الأمية تتدفق بالأميين من الجنسين واستيعـاب الأميين بين خمس عشرة سنـة إلى خمس وأربعين لا يتجاوز 2,4 ٪ يبقى منهم 1 ٪ فقط يتابع دراسته . والأمية المتفشية أمية أبجديـة وأمية حضارية ، فقـد ثبت أن كثيراً من المتعلمين أميون حضـاريـاً . واستراتيجيـة محو الأميـة التي أعلنت عام 1976 تطمح إلى محو الأميين خلال خمسة عشرة سنة ، وها نحن على مشارف عام 1990 وما تزال الأمية على حالها هذا إذا لم تزد (4 – 34) .

ومـا يعنينـا من الواقع الثقـافي أن الأسرة نفسهـا قـد تعـاني من قصور معلومـاتهـا عن الـزواج والأنجاب ورعايـة الأطفـال وتربيتهم حتى ولو كانت أسرة متعلمـة . والعلـة تكمن في قصور المنـاهج المدرسية ، وتقصير الأعلام وشيوع الأوهام المتوارثـة . على أن هـذا الوضع الثقـافي يختلف بـاختلاف الوضع الاجتماعي والاقتصادي والوسط الحضاري وباختلاف التأثر بالغزو الثقافي الأجنبي .

(الواقـــع الاجتمـــاعي)

والـواقـع الاجتماعي لـلأسرة العربيـة متشـابـك ويحسن أن نفـك تشـابكـه ونركـز على بعض الموضوعات التي نراها الأهم وتشمل في رأينا :

النمو السكاني ، والهجرة الـداخليـة من الريف إلى المـدينـة ، والهجرة إلى الوطن العربي ، والمرأة العاملة وما يترتب على عملها من أمور تتصل بتربية الطفل والتفكـك الأسري ، وأثر القيم الـدينيـة والأجنبية وتصارع القيم ، والشعور بالمواطنة .

وسنحاول أن نلقي ضوءاً على كل موضوع من هذه الموضوعات بشئ من الإيجاز .

أولاً : النمـــو الســـكاني :

هنالك نمود مطرد في عدد السكان ونمو السكان . ظاهرة عامة في العـالم كلـه ، لكنـه في الوطن العربي ظاهرة بارزة خطيرة اذا أخذنا بعين النظر الظروف التي يحدث فيها هذا النمو .

وتتجلى ظاهرة النمو في زيادة معدل المواليد الخام بعـامـة وزيـادة معـدل سكان المـدن بـالهجرة الداخلية والخارجية بخاصة .

يقابل ذلك ارتفاع معدلات الوفيات الخام في معظم الأقطار العربية كما ترتفع وفيات الأطفـال الرضع وهو ما نود التركيز عليه ، إذ يبلغ أعلى معـدل لهـا 164 بـالألف في اليمن الجنوبي ، وأخفض معدل لها 23.8 في الكويت (5 – 4) .

أما أسباب وفيات الأطفال من سن الميلاد إلى الثالثة فتتلخص بما يلي :

- انتشـــار الأمـــراض المســـتوطنة والوبائيـــة .
- ســـــــوء التغذيـــــــة .
- عـدم توافـر الشـروط الصحيـة وتلـوث البيـئة .
- عـدم توافـر الخدمـات الصحيـة من وقائيـة وعلاجيـة (6) .

ومشكلـة النمـو السكاني تتبـدى في بعض الأقطـار في كثرة الإنجـاب وهـذه الكثرة تنعكس على المستوى المعاشي للأسرة ، وتشيع في بعض البيئات البيـوت الصغيرة إذ تبلغ نسبة الأسر العربية التي يزيد عدد أفرادها عن سبعة 44,20 ٪ من مجموع الأسر في ستة أقطار عربية (1 : 100) .

فيكون في الحجرة ثلاثة أفراد أو أكثر فأي تربية نتوقع في هذا الازدحام ؟ (7) يضاف إلى ذلك ما يحدث من تمييز بعض الأطفال على بعض ، وما يخلف هذا التمييز من أزمات نفسية بالغة ولا سيما حين تتعدد الزوجات .

ثانياً : الهجرة الداخلية من الريف والصحراء إلى المدينة :

تعد مستويات التحضر في بعض الدول العربية من أعلى مستويات التحضر في العالم فتصل في الكويت وقطر على سبيل المثال إلى نسبة (86 ٪) وتزيد عن 69 في كل من الاردن والامارات العربية المتحدة والبحرين ، بينما تبلغ في سويسرا نسبة 60,4 وفي ايطاليا 71,7٪ وفي الولايات المتحدة نسبة 79,2 ٪ (7) . وهذا التحضر يعتبر زحفاً من الريف والصحراء إلى المدينة . وفي هذه الحال يحدث ما يلي :

إنتكاسة في الريف تتبدى في زيادة التصحر وقلة الانتاج الزراعي والحيواني وفي ذلك تهديد مباشر للأمن الغذائي .

وإنتكاسة في المدينة إذ تضيق المدينة بالوافدين إليها ، وتعجز خدماتها غير المخططة أصلاً عن تلبية حاجات المواطنين ، فتعم الفوضى ، وينتشر الفقر ، ويشيع الفساد .

والأسرة في الريف الفاقد والمدينة المتخمة تغدو في حال سيئة لغياب المعيل في الريف ، ولقصور الخدمات الغذائية والعلاجية والتعليمية في المدينة .

إن التحضر غير المدروس يدفع الجميع ثمنه إرهاقاً وحرماناً وفقراً ولا يتحضرون .

ثالثاً : الهجرات في الوطن العربي وداخله والشتات الفلسطيني :

في إطار التكامل الاقتصادي العربي تهاجر العمالة والخبرة العربية من البلدان الفقيرة إلى البلدان النفطية ، وهذا في حد ذاته أمر مرغوب فيه ومطلوب . لكن المشكلة في هجرة الجنسيات الأخرى إلى البلدان النفطية فهنالك 120 جنسية في الكويت وحدها . وأبرز مشكلة يعاني منها أهل البلاد هي في هجرة الخدم ومعظمهم أسيويون ، وهم الذين يحتكون مباشرة بالأسرة والأطفال ، وقد دلت بعض الدراسات على الأثر السئ الذي يخلفه هؤلاء في الأطفال في النواحي اللغوية والروحية والنفسية (8 – 19) .

والهجرة العربية – ليست خالصة من المشكلات ، سواء انتقل المعيل وحدة أم انتقلت الأسرة بكاملها ، فهنالك أنماط العيش الجديدة أو الإحساس بالغربة . وهنالك إحتكاك الأطفال بعضهم ببعض الذي ينشأ عنه في بعض الأحيان إنتقال بعض العادات غير المرغوب فيها في بيئة معينة .

أما الأسر الفلسطينية المهاجرة والمستقرة في بعض الأقطار العربية فمنها من تسكن المخيمات وقد تكون على تماس يومي مع خط النار والدمار ، ومنها من يأكلها الفقر والمرض ومنها الأسر الأكثر رفاهية في بلدان الخليج .

وهذه الأسر جميعها تتحدى ظروفها وتتجاوز شعورها بالغربة ، وتقبل على تعليم أطفالها وغرس حب الوطن الضائع في نفوسهم .

إن هذه الأسر على الرغم من شتاتها مازالت ترنو إلى أرض فلسطين وتحاول أن تصنع المعجزات .

رابعاً : عمل المرأة وأثره في تربية الطفل :

نسبة عمالة المرأة العاملة مازالت محدودة في بعض الأقطار العربية ، فهي متدنية في دول الخليج ، وأفضلها الكويت فإن نسبة الكويتيات العاملات تبلغ 10,3 ٪ وتشير الدراسات الحديثة إلى أن هناك تراجعاً في معدل زيادة عمالة المرأة في جمهورية مصر العربية (1 : 102) .

وتجابه المرأة العاملة بعض الصعوبات في تربية أطفالها ، وتحل مشكلتها غالباً حلاً فردياً فتلجأ إلى بعض الأهل أو الجيران أو الخدم . وقليل من الأقطار العربية يوفر دوراً للحضانة وعلى نطاق ضيق . وهذا يجعل الطفل بعيدا عن أمة بعض الوقت ، وربما أثر هذا في نفسيته ولا سيا في السنوات الأولى من عمره حيث يكون بأمس الحاجة إلى حنان الأمومة ودفئها .

خامساً : التفكك الأسري :

التفكك الأسري ظاهرة إجتاعية عامة تحدث في كل مجتمع وفي كل زمان وهي تتمثل في انفصال الزوجين ، أو موت أحدهما ، أو زواج أحدهما غير مرة ويترتب على ذلك حرمان الطفل من أحد أبويه وفي بعض الأحيان سوء معاملته ، وينعكس هذا على نفسيته فينشأ ناقاً أو حاقداً وأحياناً متمرداً .

مشكلات التفكك الأسري تعاني منها مجتمعات عربية كثيرة وقد توافرت دراسات كثيرة تشير إلى هذه المشكلة في كل من جمهورية مصر العربية ، والمملكة العربية السعودية ، والبحرين والكويت (راجع 1 : 102 – 103) .

سادساً : أثر قيم الدين الإسلامي والقيم الأجنبية وتصارع القيم :

لا ينبغي لنا أن ننظر إلى المجتمع العربي على أنه مجتمع متفكك متفسخ ، فتلك صورة قاتمة لا يعززها الواقع . فالدين الإسلامي بقيمه وطقوسه وشعاراته وسلوكياته بارز ظاهر في معظم الإسر العربية . وإذا كان هنالك تساهل في بعض الأمور فإن ذلك لا يعني فساد الصيغة .

وظاهرة التغربن في حياة الثقافة والسلوك لدى بعض الأسر ، ربما كانت شائعة لدى القليل وفي بعض الأقطار العربية .

وصراع القيم الاسلامية والقيم الأجنبية قائم في المجتمع الواحد والأسرة الواحدة أحياناً ، ولا ريب أن الطفل العربي الذي ينشأ في مجتمع من هذا النوع انما ينشأ على الحيرة والتردد وهو يفقد هويته العربية بالتدرج .

سابعاً : الوعي لمفهوم المواطنة لدى الأسرة :

مادمنا حريصين على تأكيد هويتنا العربية ، فإن الانتماء إلى الوطن العربي والأمة العربية والعمل على تعزيز هذا الإنتماء ، هو السبيل الوحيد لتأكيد هذه الهوية .

وهذا المفهوم تتبناه الشعارات والدساتير العربية ، لكن الممارسات اليومية بعيدة كل البعد عن تجسيده في صورة حقيقية .

وحالات الحرب والغزو تنمي الشعور بالمواطنة ، ولا سيما في القطر الذي يتعرض لتهديد وغزو مباشر . ويمكن للطفل أن ينشأ على هذا الشعور .

أننا أحوج إلى تنمية هذا الشعور لدى الطفل في حال السلم ولا يتم ذلك إلا حين تعي الأسرة هذا المفهوم وعياً عميقاً وتسعى إلي ترجمته إلى سلوك عملي .

والشعور بالمواطنة لدى الأسر الفلسطينية على الرغم من ضياع الوطن ، ربما كان أوضح منه

عند كثير من الأسر التي تعيش في أمن ورخاء ولعل هذا الشعور هو الواقع الأكبر للنضال سواء في الأرض المحتلة أم خارجها .

(الواقـــع الاقتصـــادي)

إن الواقع الاقتصادي للأسرة العربية متأثر بالوضع الاقتصادي للدولة ومؤثر فيه . وحتى نتعرف على هذا الوضع لابد من استجلاء بعض الحقائق عن الدخل القومي والدخل الفردي والنشاط الاقتصادي والزراعي والصناعي .

فالدخل القومي متفاوت تفاوتاً كبيراً بين الأقطار العربية فهنالك دول نفطية غنية وأخرى فقيرة . وهذا يؤدي إلى أن بعض الأسر تعيش حياة رافهة وأخرى لا تجد ما يقيم أودها .

وحتى في البلد الواحد هنالك تمايز طبقي ، فهناك الأغنياء وهناك الفقراء ومتوسطو الدخل .

وهذا التمايز يؤدي إلى خلخلة في المجتمع نفسه ، على أنه ليس ضرورياً أن يكون الطفل في الأسرة المرفهة متمتعاً بتربية أفضل .

أما عن النشاط الاقتصادي في الأقطار العربية . فهناك بلاد زراعية لم تصل إلى حد الاكتفاء الذاتي في منتجاتها الزراعية ، ومعظم الأقطار العربية تستورد الغذاء . وهذا الخلل له أسباب كثيرة وتأتي الأسباب السياسية في المرتبة الأولى . وفي مجال الصناعة لا تعد الأقطار العربية من الدول الصناعية وكل ما لديها ضمن هذا النشاط لا يتعدى بعض الصناعات التموينية والاستخراجية (9 : 666) .

ومثل هذا الوضع الاقتصادي ، يجعل الوطن العربي مهدداً في أمنه الغذائي ، ويجبره على التبعية الإقتصادية .

وهذا كله ينعكس على الأسرة العربية حرماناً وقلقاً وإحباطاً ، وندور في الحلقة المفرغة ، الكل يؤثر في الجزء والجزء يؤثر في الكل . وهذا الكل نفسه متأثر بالوضع الدولي العام .

(الواقـــع الصحـــي)

إن الواقع الصحي للأسرة العربية هو نتيجة لعاملين : أولهما درجة الوعي لديها . وثانيها توافر الامكانات المادية لدى الأفراد والدولة .

بعض الدول العربية تتوافر فيها الخدمات الصحية على نحو مرض نسبياً من حيث عدد أسرة المستشفيات أو عدد الأطباء ، والأطر الطبية المساعدة ، وتأتي في مقدمتها الكويت . وبعض الدول الأخرى تتراجع فيها هذه الخدمات الصحية تراجعاً حاداً كما في السعودية وسورية والعراق والأردن . (10 : 113) .

وإذا إخترنا من هذه الخدمات العناية بالامهات الحوامل ، فإن الاحصاءات تشير إلى أن القابلات الأميات يجرين 90 ٪ من الولادات في الريف و 50 ٪ من الولادات في الحقل . ويبلغ حجم الولادات التي تتم خارج المؤسسات الصحية 70 ٪ في بعض الأقطار (11 – 29) .

فإذا انتقلنا إلى ما بعد الولادة وتتبعنا عمليات التطعيم للأطفال فإننا نجد أن 55 ٪ من أطفال الحضر و 43 ٪ من سكان الريف هم الذين يطعمون فقط . (11 – 29)

وحين نضيف إلى ذلك ما ينتشر في الوطن العربي من أمراض وأوبئة ولاسيما الأمراض التي يتعرض لها النساء والأطفال ، فإننا ندرك حينئذ الوضع المتردي للصحة العامة . وأهم هذه الأمراض الجهاز الهضمي وهي مرتبطة بتلوث المحيط ، وإنعدام وسائل الوقاية والعلاج وسوء التغذية . (10 – 110) .

وتشير دراسات منظمة الصحة العالمية أن انتشار مثل هذه الأمراض والأوبئة قد رافق فترات زمنية مختلفة ، ولم تعف منها حتى البلدان العربية الخليجية في أوج ازدهارها الاقتصادي (6) .

(أنماط التنشئة الأسرية السائدة)
في الوطن العربي

بعد دراستنا لأوضاع الوطن العربي من الناحية الثقافية والإجتماعية والاقتصادية والصحية ، لمسنا إختلاف الظروف التي تعيشها الأسرة العربية باختلاف مستوى التعليم أو الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها أو المستوى الاقتصادي الذي تعيشه أو الظروف السياسية أو الاتجاهات الدينية . كما لمسنا إختلافنا بإختلاف حجم الأسرة ودرجة تماسكها ، وموقع الطفل فيها وبإختلاف ما تحمله من قيم .

وهذا الإختلاف يلقى بظلاله على الأسلوب الذي تتبعه الأسرة في تنشئة أبنائها ، إذ تختلف أساليب التنشئة الأسرية باختلاف ظروف الأسرة وباختلاف المجتمعات والعصور ، فما يعتبر نمطاً

مطلوباً في أسرة معينة تعيش ظروفاً إقتصادية وإجتماعية وثقافية معينة في مجتمع معين في زمن معين قد لا يناسب ماتراه أسرة أخرى ظروفها تختلف عن تلك الأسرة . ولذا تختلف أنماط التنشئة الأسرية بحسب ما يراه كل مجتمع .

واذا تتبعنا أنماط التنشئة الأسرية في المجتمع العربي فسنرى أن هناك إختلافاً واضحاً يرجع إلى إختلاف الطبقات الإجتماعية ، واختلاف الوسط الذي تعيشه الأسرة ، واختلاف ظروفها الخاصة ، بالإضافة إلى عوامل التغير التي طرأت على المجتمع العربي وما استتبع ذلك من تغيرات كإرتفاع نسبة التعليم مثلا ، أو الهجرة من الصحراء أو الريف أو القرى إلى المدن ، وإرتفاع مستوى الدخل ، ودخول المرأة سوق العمل ، وفكرة مساواة المرأة بالرجل ، والتغير في حجم الأسرة وارتفاع مستوى الطموح والتأثر بمظاهر الحضارة الغربية ، والتقدم العلمي والتقني ، وإنتشار وسائل الإتصال الجمعي .

١ - التسلط :

تشير كثير من الدراسات(☆) التي أجريت لمعرفة أساليب التنشئة الأسرية في المجتمع العربي إلى شيوع أنماط التربية المتسلطة المحافظة خصوصاً عند الأسر ذات المستوى الثقافي المنخفض حيث يتساوى تقريبا مفهوم التربية مع مفهوم الأدب بالمعنى السلبي فالمطلوب من الطفل أن يكون مطيعاً لوالديه طاعة مطلقة ، وألا يعارضها أو يناقشها (15 : ج 2 - 27) وقد وجد أن الأباء في المستويات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية المرتفعة أكثر تحرراً واستخداماً للأساليب الديمقراطية لتعاملهم مع أبنائهم ، وينطبق ذلك على الأباء في المناطق الحضرية عند مقارنتهم بالآباء في المناطق الريفية (11 : ج 6 : 19) كما يلاحظ إن اتباع أسلوب التسلط والتحكم والسيطرة يغلب حين يكون التعامل مع الأنثى .

وقد يميل أحد الوالدين أو كلاهما إلى التسلط والشدة والسيطرة والتحكم الزائد وفرض الرأي سواء بإتباع أسلوب التهديد والعنف والحرمان ، أو أتباع أسلوب اللين والإلحاح بحيث تلغى رغبات الطفل ويحرم من الحرية ومن إشباع الكثير من حاجاته النفسية مما يحول دون تحقيقه لذاته .

وقد يلجأ الأبوان أو أحدهما إلى هذا الأسلوب نتيجة لخبرته وتجاربه السابقة ، فقد

يعكس نفس الأسلوب الذي إتبعته أسرته في تنشئته ، فيعامل أبناءه كما عومل في طفولته وصباه ، أو أن يكون الأب مثلاً غير راض عن نفسه وعن سلوكياته كإدمانه للخمر مثلاً ، أو شعوره بالفشل والإحباط ، فيسعى إلى أن يكون أبناؤه افضل منه متبعاً في ذلك أسلوب السيطرة والتسلط ، وقد يعود الأمر إلى الميل المبالغ فيه إلى المثالية المطلقة مع الميل إلى الصرامة في إجبار أبنائهم على المواظبة على السلوك المثالي الذين يعتقدونه ، حتى وإن لم يكن ذلك مناسباً للمرحلة العمرية التي يمر بها الطفل .

وقد تميل الأم أحياناً إلى الصرامة وقد يرجع الأمر في ذلك إلى أنها « قد فقدت والدتها في طفولتها وتحملت مسئولية أخوتها الصغار لذلك تتخذ لنفسها إتجاهات صارمة في تربية أبنائها » (12 : 85) .

يكون من نتائج هذه المعاملة إن الطفل يشب وهو ميال إلى الخضوع والإستكانة . لا يستطيع أن يبادر إلى العمل التلقائي بذاته ، ينتظر أن يقوده الآخرون ، كما يكون خاضعاً لجميع أنواع السلطة التي تمارس عليه ، لا يستطيع مقاومتها أو دفعها ، بالإضافة إلى ضعف الثقة بالنفس ، وعدم قدرته على التمتع بالحياة وقضاء وقت الفراغ . فأمثال هؤلاء الأطفال يفكرون في المسئوليات وفي العمل على الدوام ولا يعطون لأنفسهم غالباً فرصاً للإستمتاع بمباهج الحياة (13 : 132) مما ينعكس على مستوى أدائهم وعلى صحتهم النفسية فيما بعد .

وقد نرى من هؤلاء الأطفال من يكون مشاغباً متلفاً للممتلكات العامة سئ السلوك في غياب السلطة والرقابة .

٢ - التدليل والحماية الزائدة :

يسود هذا النمط من التربية في المجتمع العربي حينما يجد الأبوان صعوبة في الإنجاب أو عندما يكون الطفل وحيداً ، أو لكونه أول أو آخر الأبناء أو لكونه ذكراً بين إناث أو العكس ، أو نتيجة لمرض الطفل أو إصابته بعاهة . وقد أشارت الدراسات إلى أن درجات مقياس الحماية الزائدة عند بعض الفئات الأكبر سناً أعلى من الأصغر سناً كما وجد إن الأباء الأقل تعليماً يميلون إلى الحماية الزائدة بمقارنتهم بالأعلى تعليماً (14 : 82 – 85) .

ويعني التدليل قيام الأسرة بالإستجابة لجميع رغبات الطفل كالاذعان لمطالبه مهما كانت شاذة أو غريبة ، وإصراره على تلبية مطالبه أينما وكيفما ومتى يشاء دون مراعاة للظروف الواقعية كعدم توافر الامكانات (15 : 229) .

وتعني الحماية الزائدة الخوف المبالغ فيه على الطفل ومنعه من القيام بالأعمال التي باستطاعته أن يؤديها بنفسه وقد يصل الأمر إلى منعه من اللعب مع الأقران خوفاً من أن يتعرض لسوء ، فيحرم من اللعب والحركة ومن ثم التعلم ، كما قد يصل الأمر إلى منعه من حرية إختيار ما يلبس لأن الأسرة أدرى بما هو مناسب ، وقد يمنع من حرية إختيار الغذاء الذي يعجبه للسبب ذاته .

ويؤدي هذا النمط من أنماط التنشئة إلى أن يكون الطفل إتكالياً خائفاً ضعيفاً في مواجهة المشكلات ، غير قادر على تحمل المسئولية ، كما يتوقع العناية نفسها من المجتمع ، فإن لم يجدها ، أصيب بالإحباط ، مع عدم قدرته على تحمل ذلك . كما يكون مفرط الحساسية غير قادر على تكوين علاقات إجتماعية سوية ، كثيرا الخطأ والإعتذار دون رغبة حقيقية في إصلاح خطئه أو تغيير واقعه ، ميالاً إلى إلقاء التبعة واللوم على الآخرين .

٣ - القسـوة في المعاملـة :

تشير دراسة « نجاة البياتي » إلى إن الأمهات العراقيات غير المتعلمات يملن إلى العقاب البدني كما إن الأمهات المصريات يملن إلى التشدد في المعاملة (16 : 49 – 56) وتشير دراسة « سلمى جمعة » أن الأسر في الريف والحضر المصري يرون إن العقاب البدني هو أنسب أساليب العقاب ، وإن الأسر تلجأ إليه بكثرة كأسلوب معتمد وشائع في التربية (17 – 102) ووجد « عبد الفتاح القرشي » إن الوالدين الأقل تعليماً يميلان إلى الألم النفسي والقسوة في المعاملة (14 : 82 – 85) . كما وجد « قاسم عزاق » أن الأسر التونسية تستعمل أساليب الترهيب والعنف والضرب بكثرة ، كما أن الأمهات يستعملن الشدة خاصة مع البنات لردعهن وتهذيبهن (11 : ج 3 – 60) . ويرى « هشام شرابي » إن الأسرة العربية ترى أهمية العقاب الجسدي وخاصة في مجال التعليم ، وإن ضرب الأولاد طريقة مقبولة لضبط السلوك ، وأكثره شيوعاً هو « الصفعة » التي قد لا تكون مؤلمة بقدر ما هي

وسيلة إذلال يمكن توجهها بسرعة ودون سابق إنذار (18 : 40) ، وفي ذلك قسوة نفسية ولاشك .

وتتخذ القسوة في المعاملة أساليب عدة وذلك باللجوء إلى أنواع العقاب النفسي أو البدني المبرح ، أو كثرة الأوامر والنواهي رغبة في دفع الطفل إلى الطاعة العمياء وإلى أنواع معينة من السلوك قد لا تتناسب وعمر الطفل . فقد بينت بعض الدراسات أن القسوة في التدريب على الإخراج قبل نضوج قدرة الطفل على الإستجابة تؤدي إلى النزعة العدوانية والميل إلى المبالغة (19 : 186) . وقد يلجأ الأب إلى القسوة نتيجة لعدم رضاه عن واقعه أو نتيجة لوقوعه تحت طائلة الظلم مما يجعله عنيفاً في معاملة أبنائه ، كما قد تلجأ الأم إلى القسوة في المعاملة كعدم رضائها عن واقعها وخاصة موقف الزوج أو أهله منها ، فتفرغ شحنتها الإنفعالية في الأبناء الذين لا حول لهم ولا قوة ، إلى غير ذلك من الأسباب التي تجعل الأبوين يعاقبان بقسوة وشدة لا تتناسب وحجم الخطأ الذي إرتكبه الطفل ، وقد يطلبان منه سلوكاً أو أعمالاً لا تناسب مقدرته الذهنية أو العضلية فيعيش الألم النفسي مثل الجسدي لشعوره بالإحباط من جهة ، ولتوقعه للعقاب من جهة أخرى .

ونتيجة لذلك تنمو شخصية متمردة صعبة القياد تحاول ، أن تنفس عن تلك المشاعر المكبوتة عند الطفولة ، وهذا التنفيس قد يأخذ نماذج عدة كالإتلاف والإساءة إلى الممتلكات العامة ، أو تعذيب الحيوانات الأليفة والطيور بلا رحمة ، أو محاولة إيلام الآخرين والسعى إلى حرمانهم من السعادة إذا تمكن من ذلك ، فإن لم يتمكن فإن الشعور بالضيق والألم يظل مسيطراً .

كما أن التعرض الشديد في الطفولة إلى العقاب النفسي كالتوبيخ الشديد والسخرية الدائمة قد يجعل الطفل فاقداً للثقة في نفسه منسحباً إنطوائياً يخاف المغامرة والمبادأة في عمل ما ، خشية الفشل والوقوع بالخطأ .

٤ - الإهمـــال والنبـــذ :

تشير بعض الدراسات إلى أن إهمال الأطفال ترتفع نسبته عند الآباء الأصغر سناً عنه عند الآباء الأكبر سناً ، كما أن الوالدين الأقل تعليماً يميلون إلى الإهمال في تنشئة أطفالهم

(14 : 82) وإن كثيراً من الأسر في كل من القرية والمدينة في مصر ، تتجه إلى عدم تلبية طلبات الطفل ، ويرجع ذلك عند أسر القرية إلى العامل الاقتصادي ، على حين يرجع إلى عوامل إقتصادية وتربوية عند الأسر في المدينة (17) . وكثيراً ما يشعر الطفل بالإهمال والنبذ في الجو الأسري الذي يسوده التفكك . إذ يحتاج الطفل إلى الحب والتقبل والشعور بالانتماء . فإذا حرم من ذلك عانى من مشكلات نفسية كثيرة . ويتمثل الإهمال في عدم العناية بالطفل جسمياً ونفسياً فقد لا يوجه أو يشجع أو يجد من يهتم بما يفعل ، ولا يستجاب لرغباته ومطالبه ، ولا يثاب على سلوك طيب ، ولا يعتني به ، إنما يكون معرضاً للسخرية والإستهزاء والتوبيخ . وبذا يحرم من الإثابة على السلوك الطيب فلا يعزز ذلك السلوك ، ولا يشعر بالنجاح الذي يدفعه للمزيد من التفوق وبذل الجهد . كما قد يأخذ الاهمال صورة عدم العناية حتى بأخطاء الطفل ومحاسبته عليها .

وقد يشعر الطفل بالنبذ إذا كان مجيئه غير مرغوب فيه أياً ما كانت الأسباب ، أو إن وجوده تسبب في مشكلة ما . كما يشعر بالإهمال في حالة التفكك الأسري ، وحرمانه من الأبوين أو أحدهما . كما يشعر بالنبذ إذا ما تعرض للتهديد والعقاب الشديد المتكرر ، أو لعصبية الأم وسلوكها المتذمر وهي تقوم بخدمة الطفل أو العناية به .

ويكون من نتائج هذه المعاملة إن الطفل المنبوذ قد يحاول لفت الأنظار إليه ليعتني به فيدعى الطفل المرض بصفة متكررة ويمتنع عن الأكل ، أو الكلام ، أو أن يتبول على نفسه لا إرادياً - وما هذه إلا مظاهر للإضطراب النفسي - أو القيام بسلوك يتميز بالمقاومة والعدوان والثورة والعناد كثيراً ما نجد هؤلاء الأطفال مصدر تعب للمدرسة والمنزل وليس من السهل اخضاعهم للسلطة (13 : 121) .

كما أن الطفل الذي يشعر بالإهمال المتكرر يعاني من الإحساس من عدم الأمان ، وبالحرمان من الحب مما يؤثر في بنائه النفسي ، ويجعله يحاول أن ينتمي إلى أي مجموعة حتى لو كانت مخربة . أما إذا كان الطفل لا يجد من يثنيه أو ينصحه ويرشده أو يعاقبه ، أي عندما يعاني من الأهمال المطلق ، فإنه لن يعرف معايير الصواب والخطأ مما يترتب عليه مشكلات نفسية وإجتماعية كثيرة .

٥ - التفرقة في المعاملة بين الأبناء :

لا تكاد توجد دراسة عربية عن أنماط التنشئة السائدة في المجتمع العربي إلا وتشير إلى التفرقة بين الأبناء وبصفة خاصة تمايز الذكور عن الإناث في المعاملة الحسنة ، وترجع دراسة « كرم محمد حمزة » مثلاً التحفظ في تعليم الإناث لسنوات طويلة إلى الاهتمام بالذكر أكثر من الأنثى (11 : 93) وتبين دراسة « القرشي » إن الأمهات أقل ميلاً للتفرقة بين الأبناء (14 : 83) وتشير دراسة « محمد هاشم » أن التمييز في المعاملة بين البنين والبنات وتخصيص الذكور بالرعاية يزداد وضوحاً في الأسر ذات المستويات الاقتصادية المنخفضة والتي يصبح عادة للأبن الذكر فيها قيمة اقتصادية كبيرة منذ سن مبكرة . بينما تشيع الرعاية المتساوية في المناطق الحضرية إذا ما قورنت بالمناطق الريفية ولا سيما بين الآباء صغار السن ، والأباء الأفضل تعليماً والأباء الذين يشغلون مناصب مرموقة وبين الأمهات العاملات (11 : 19) .

وإذا كانت التفرقة بين الذكور والأناث هي الغالبة فإن هناك أنواعاً أخرى من التفرقة فتفضل بعض الأسر الأنثى الوحيدة بين الأبناء الذكور ، أو يفضل أكبرهم أو أصغرهم سناً ولكن تبقى نسبة هذه الأنواع من التفرقة قليلة إذ تغلب على الأسرة العربية التفرقة في المعاملة بحسب الجنس فيجد الصبي من العناية والتسامح والتقبل والحرية أضعاف ما تجد الصبية وقد يكون ذلك ناتجاً عن الموروث الثقافي للمجتمع الذي يميل إلى تفضيل الذكر على الأنثى إذا يجد في الذكر إمتداداً للأب الذي يحمل أسمه ويتحمل معه أعباء الأسرة مستقبلاً بخلاف الأنثى التي قد تجلب العار للأسرة والتي تشكل عبئاً لا ينتظر منه مردود مجز .

ومثل هذه المعاملة أن تشعر الصبي بتمايزه ويبدأ في ممارسة سلطته قبل أوانها فيتحكم الطفل الصغير بأخته التي تكبره سناً ، ويستعدى على حقوقها وما يعجبه من لعبها وأدواتها ، ويشب إنانياً معتمداً على أن يأتيه العون ممن حوله دون أن يحاول أن يعطى مقابل ذلك ، مثل هذه الشخصية لا يتوقع منها خيراً كثيراً لمجتمعها .

أما البنات اللاتي يشعرن بأنهن أقل حظاً من الذكور في التمتع بحقوقهن فقد يدفعهن ذلك إلى التحدى والمشاجرة والعصيان أو إلى الانسحاب والأنطواء أو القلق والخوف الذي يتمثل ببعض الأمراض النفسية والسلوكية .

وقد تأخذ التفرقة في المعاملة بين الذكور والأناث بعداً آخر يبقى الصبي في دائرة الاهتمام ، بيما يندر أن تكون البنت في مركز الاهتمام الأول اذا كان لها أشقاء ويرى « هشام شرابي » في ذلك ايجابية انعكست من تنشئة الفتاة في الأسرة العربية ، إذا أتاح لها ذلك أن تنمو بحرية أكثر أو أن تتعلم كيف تواجه المصاعب بنجاح ، لأنها لا تخضع للضغط نفسه الذي يخضع له الصبي ، ولذلك فهي تميل إلى النضوج أسرع منه ، وتتعلم كيف تواجه مشكلات الحياة بصورة أكثر فعالية من الصبي . ولعل هذا أحد الأسباب التي جعلتها تنجح في مجابهة نظام اجتماعي يحاول سحقها باستمرار (18 : 33 - 34) .

٦ - التذبـــذب في المعامـــلة :

بينت بعض الدراسات أن التذبذب في المعاملة من أكثر الاتجاهات الوالدية غير السوية إرتفاعاً لدى العينة التي درست (14 : 68) وقد كنا نتوقع أن العامل التعليمي له أثر في ظهور أو اختفاء هذا الأسلوب في التنشئة ولكن بينت تلك الدراسة التي أجريت لمعرفة اتجاهات الأباء والأمهات الكويتين في تنشئة الأبناء أنه لا توجد فروق ذات دلالة بين الفئات المختلفة للمستوى التعليمي على مقياس التذبذب سواء لدى مجموعة الآباء أو مجموعة الأمهات (14 : 68) .

والتذبذب في المعاملة قد يأخذ صوراً ونماذج شتى فقد نراها سائدة حيثما تسود العائلة الممتدة فالأسلوب الذي يتبعه الوالدان هو غير الأسلوب الذي يتبعه الجد أو الجدة وذلك لا يعني توحد أسلوب المعاملة بين الأم والأب فقد يتصرفان بطريقة على درجة عالية من التناقض فقد وجدت أحدى الدراسات مثلاً أن الأم تحاول أن تحمي طفلها من عقاب الأب بلجوئها إلى إخفاء بعض تصرفات الأبن أو تبسيطها (17) مما يشعر الطفل باختلاف ردود الفعل عند كل من الأم والأب . كما يجد هذا الاختلاف في ردود الفعل عند أحد الأبوين أو كليهما في المواقف المختلفة فقد يعاقب الطفل مرة على سلوك ما ، ولا يعاقب على السلوك نفسه مرة أخرى ، فقد يردد مثلاً عبارة نابية فيضحك الأب ويجعل من ذلك مجالاً للتندر ، وقد يقابل الصغير بالزجر والعقاب إذا قال الكلمة ذاتها في موقف آخر ، مما يجعل الطفل في حيرة وقلق وعدم قدرته على توقع ردود الفعل عند والديه تجاه سلوكه في الأوقات والظروف المختلفة .

وقد يلجأ الوالـدان عن قصـد أو غير قصـد إلى التنويع في مواقفهما حيـال أبنـائهما ، كأن يلجأ الأب إلى الحزم والشـدة ، وتلجـأ الأم إلى التسـامح والتقبل ، وهو الغـالب ، ممـا يجعل الطفل ميالاً إلى الجهة التي يجد عندها العطف ويعتبرها ملاذاً يحمي نفسه بهـا من أخطـائـه ومن العقاب المتوقع ، كما يجعل الطفل محروماً من الأب كمصـدر للحنـان والحب إذ يرتبـط في ذهنه بالقوة والجبروت وممارسة العقاب .

ولعل أخطر ما في الأمر هو عدم قدرة الطفل على تقييم ردود أفعال ذويه حيال سلوكه وتصرفاته ، فينمو والتـذبـذب والتردد وعـدم القـدرة على توقع ردود العل وعـدم القـدرة على حسم الأمور صفات متلازمة له ، سواء مع أقرانه وزملائه ، أو مع أسرتـه والمحيطين بـه ، أو مع رؤسائه فيما بعد ، فيراه من حوله متقلب المزاج مزدوج الشخصيـة ، غير قـادر على اتخـاذ القرار أو التعبير الصريح عن الرأي . كما قـد يجـد الطفل نتيجـة لهـذا صعوبـة في التمييز بين الصواب والخطأ مما يغيب عنده معايير الحكم على المواقف ، وفي ذلك خطر بالغ .

٧ - طمـــوح الأبـــاء الزائـــد :

أن كثرة المواقف التي يشعر فيها الفرد بالعجز والفشل وعدم القدرة تؤدي به إلى الشعور بالألم والاحباط الذي ينعكس على بنائه النفسي .

وإذا كان من الطبيعي أن يدفع الأباء أبناءهم إلى التفوق ويأملون أن يكونوا خيراً منهم على الأصعدة كافة وبخاصة العلمية والمالية إلا أنهم يجب أن يدركوا قدرات وامكانات أبنـائهم وميولهم ورغباتهم ، ولكن طموح بعض الأبـاء الزائـد يشكل ضغطـاً شـديـداً عليهم فينقلون ذلك الضغط ليمارسوه على أبنائهم فيلحون عليهم إلحـاحـاً شـديـداً للتفوق وبـذل المزيـد من الجهد ولا يتركون لهم فرصة للراحة أو المتعـة أو اللعب ، وقـد يصل الأمر إلى حرمـانهم من اللعب أو مشاهدة الاذاعة المرئية أو القراءة في غير الكتب المـدرسيـة ، حتى لو كانت ظروف دراستهم مثـلاً لا تشكل اعـاقـة تحـول دون تمتعهم بمتـابعـة بعض البرامـج أو ممـارسـة بعض الأنشطة . كما قد يدفع الأباء أبناءهم إلى تخير مجـالات اهتمام الأبـاء ومثل هـذه المواقف تجعل الأبناء يشعرون بعدم تفهم الأسرة لهم وعدم الثقة بهم وبقدرتهم الذهنيـة (20 : 58 – 59) مما يجعل الأبناء يشعرون بالضيق والألم .

وقد يلجأ الآباء إلى هذا الأسلوب الضاغط المبالغ فيه لسببين متناقضين :

أما لكونهم قد حرموا من التعليم ويرون في أبنائهم تعويضاً عن رغباتهم المكبوتة وسد مجال النقص الذي يشعرون به ، أو لأنهم لا يرغبون في أن يروا أبناءهم يختلفون عن أفراد الأسرة الذين نالوا قسطاً وافراً من التعليم ، أو يختلفون عن أقرانهم الذين يظن الأباء أنهم يعطون عناية أكثر مما يعطى أبناؤهم لدراستهم . وينتج عن ذلك أن يصاب الأبناء بنوع من البلادة الانفعالية أو الامتناع عن تحمل المسئولية ، وكلما زاد الأباء دفعاً ، تقاعس الأبناء وازدادوا رغبة في التخلف ، وقد يحدث ذلك نوعاً من الرغبة في المقاومة السلبية (13 : 133) كما قد يؤدي الأمر بالطفل إلى الشعور بالاحباط والفشل لأنه لا يستطيع أن يحقق ما يطلب منه أو ما يرجى له .

٨ - الأسلوب السوي :

وهو الأسلوب الأمثل الذي يعتني بمعرفة خصائص الأطفال في مراحل عمرهم المختلفة ، فتتم معاملتهم بما يناسب نضجهم الجسمي والعقلي والانفعالي ، وبحيث لا يغفل أسلوب الثواب على العمل الذي يستحق الثواب حتى لو كانت المثوبة عبارة عن نظرة حانية أو كلمة طيبة ، كما لا يهمل العقاب أن لزم على أن يكون العقاب مناسباً لحجم الخطأ ومتزامناً معه ودون أن يسبب ضرراً نفسياً أو جسدياً ، وبحيث يجد كل فرد في الأسرة العناية والرعاية اللازمة القائمة على العدل والمساواة الذي يغرس في الطفل القيم المناهضة للظلم والاستبداد ، وبحيث ينمي ثقة الطفل في نفسه باعتماده على تحمل المسئولية بما يتناسب وسنه ، وبحيث يجد التوجيه والنصح الذي يساعده على تعرف معايير الصواب والخطأ وبحيث تشبع حاجته إلى الحب والدفء والتقبل والانتماء والشعور بالنجاح وبحيث يجد التفهم ممن حوله بحيث يدرك الآخرون حاجته إلى اللعب والترفيه بقدر حاجته إلى العمل والانجاز .

ونحن على يقين بأن المجتمعات العربية لا تخلو من تلك الأسر التي تحاول أن تنشئ أبناءها تنشئة سلية ، والدراسات التي أشرنا إليها جميعها وغيرها كثير ، لا تغفل الاشارة إلى هذا الجانب ، وإنما كان عرضنا للأنماط السالبة رغبة منا في تشخيص الواقع وإدراك أبعاده

المختلفة . فهذه الأنماط تشيع حيث يكثر الجهل ويقل الوعى . وحيثما يجد الفرد أسير القلق والتوتر والخوف .

ولكن يبقى عامل الجهل هو العامل الحاسم إذ أثبتت الدراسات جميعها بلا إستثناء أنه كلما زاد المستوى التعليمي نقصت الاتجاهات الوالدية غير السوية (13 : 73) .

فإلى متى يبقى الجهل يرخى بسدوله على أجزاء شاسعة من وطننا الحبيب ؟

(الخلاصـــــــة)

● أبـــرز النتائـــج :

أ - واقـــع الأســـرة العربيـــة :

يشير واقع الأسرة العربية إلى وجود معوقات كثيرة تحول بينها وبين قـدرتهـا على التنشئة الأسرية السوية ، ومن هذه المعوقات ما يلي :

١ - إرتفاع نسبة الأمية ، وعدم القدرة على سد مسارب تفشيها في المجتمع العربي .

٢ - الزيادة المطردة في معدل نمو السكان ، وزيادة معدل الهجرة من الريف أو الصحراء إلى المدن ، مما يؤدي إلى عجز المدن عن إستيعاب تلك الزيادة في نمو السكان .

٣ - يعاني المجتمع العربي من عدم توافر الأمن الغذائي ، فمعظم الأقطـار العربيـة تستورد الغذاء ، ويعاني المجتمع العربي من تفـاوت مستوى دخل الفرد بين الأقطـار العربيـة المختلفة ، كما يعاني من عدم قدرته على التصنيع فكل ما لديه لا يتعدى الصنـاعـات التموينية والإستخراجية .

٤ - بروز بعض المشكلات التي تعـاني منهـا الأسرة العربيـة ، كمشكلـة التفكـك الأسري وبعض سلبيـات خروج المرأة للعمل كمشكلـة الإعتماد على الخـدم في تربيـة الطفل ، ومشكلة تصارع القيم بين الأجيال المختلفة ، وإنعكاس كل ذلك على قدرة الأسر على التنشئة السوية .

٥ - مازال المجتمع العربي يعاني من إرتفاع نسبـة وفيـات الأطفـال في بعض أقطـاره ، كما يعاني من إنتشار بعض الأمراض والأوبئة نتيجة سوء التغذية ، أو عدم توافر الوعي الصحي ، أو تدنى مستوى الخدمات الصحية ، أو عدم توافرها .

ب - أنمـاط التنشـئة السـائدة في المجتمـع العـربي :

ما سبق أن ذكرنا من أوضاع الأسرة العربية ، لا ريب في إنه يلقى بظلالـه على الأسلوب الـذي تتبعـه الأسرة العربيـة في تنشئـة أطفـالهـا وهو مختلف من أسرة لأخرى بحسب درجة التأثر بالظروف المحيطة .

ومن أبرز أساليب الأسرة المتبعة في تربية الأطفال الأنماط التالية :

١ - **النمط التسلطي :** وهو شائع في الأسر ذات المستوى المنخفض ويتمثل هذا النمط بإستبداد الوالدين أو أحداهما وحمل الأطفال على أداء سلوك معين محاولين إلغاء شخصية الطفل بحيث لا يتاح له قدر ضئيل من الحرية ليتحرك من خلاله ، ويصبح ميالاً حين يشب إلى الخضوع والإستكانة ويفقد ثقته بنفسه . وقد يحدث العكس فينشأ الطفل مشاغباً يميل إلى الإنتقام ولاسيما في غياب السلطة والرقابة .

٢ - **نمط القسوة في المعاملة :** وهذا النمط مشتق من النمط التسلطي ومكمل له ، فهناك أنواع من العقاب الجسدي والنفسي تمارسه بعض الأسر العربية المتسلطة بقصد إذلال الطفل وإخضاعه ، فينشأ الطفل على الكبت وينتظر الفرصة المناسبة للتنفيس عن هذا الكبت بالعبث بالأشياء والممتلكات والحيوانات .

٣ - **نمط التدليل والحماية الزائدة :** ويسود هذا النظام لدى الآباء المقلين في الإنجاب ، أو لدى الأسر التي تميل إلى الأكبر أو الأصغر أو الوحيد من الجنسين . والتدليل يعني الاستجابة لمطالب الطفل جميعها والمبالغة في حمايته وهذا النمط يؤدي إلى أن ينشأ الطفل إتكالياً غير قادر على تكوين علاقات إجتماعية سوية .

٤ - **نمط الاهمال والنبذ :** يسود هذا النمط عند الزوجين الأصغر سناً والأقل تعليماً أو لدى الأسر المتفككة وهو يتمثل في إهمال الطفل جسدياً ونفسياً وعدم تلبية طلباته . ويلجأ الطفل المهمل إلى لفت النظر إليه بممارسات إرادية أو لا إرادية تترجم إضطرابه النفسي .

٥ - **نمط التفرقة في المعاملة بين الجنسين في الأسرة الواحدة .**

وتكون العناية بالذكر واضحة ومركزة بوصفه مصدراً إقتصادياً للأسرة في المستقبل .

وهنالك تفضيل الوحيد أو الوحيدة على مجموعة الأخوة أو الأخوات وينشأ عن ذلك تدليل المفضل وإهمال غير المفضل وينعكس ذلك على كل منهما سلوكاً غير مرغوب فيه .

٦ - **نمط التذبذب في المعاملة :** يعامل الأب أطفاله على نحو مخالف لمعاملة الأم لهم . وقد تختلف معاملة كل منهما للأطفال في الموقف الواحد . ويميل الطفل في هذه الحالة إلى الجهة التي يجد عندها العطف ، والخطير في هذا الموضوع أن الطفل يفقد القدرة على تقييم ردود أفعال أبويه فينمو والتردد يعتمل في نفسه ، ولا يستطيع الحسم في أي موضوع .

٧ - **نمط طموح الآباء الزائد :** يطمح كثير من الآباء إلى أن يتفوق أبناؤهم دون النظر إلى قدراتهم وإمكاناتهم ، ويحاولون الضغط عليهم من أجل تحقيق طموحاتهم . ويعود السبب كما يبدو إلى عاملين :

أما لإنهم حرموا من التعليم ويرون في أبنائهم خير عوض ، أو لدفع أبنائهم حتى يتساووا مع أفراد الأسرة الآخرين ، ويصاب الأطفال بنوع من البلادة والتقاعس والشعور بالإحباط لأنهم غير قادرين على تحقيق ما يرجى منهم .

ولايعني ذلك غياب نمط الأسلوب السوي في التعامل مع الأبناء والذي ذكرناه في ثنايا البحث حتى نوازن بينه وبين الأنماط السابقة الخاطئة التي يعزى إنتشارها إلى شيوع الجهل والأمية . لكننا على يقين أن المجتمعات العربية لا تخلو من أسراً كثيرة تحاول أن تنشئ أبناءها نشأة سليمة .

(التوصيـــــات)

أن الواقع الصعب الذي تعاني منه الأسرة العربية ينعكس على النمط أو الأنماط التي تتبعها في تنشئة أبنائها ، ولذا سنتوجه بتوصيتين ترتبطان إرتباطاً عضوياً ببعضهما ، لإننا نرى فيهما قبل غيرهما الحل الأمثل لمشكلات المجتمع العربي :

١ - أن أول معوق يجب القضاء عليه هو الجهل وقلة الوعي الذي يؤدي إلى الفقر والجوع والمرض ، وإلى سوء التخطيط ، وإلى عدم القدرة على الإستغلال الأمثل للموارد من بشرية ومادية ، والذي يؤدي إلى شيوع أنماط سيئة من التنشئة الأسرية التي تنعكس سلباً على قدرة الانسان على العطاء والإنتاج والشعور بالسعادة والرضاء .

والقضاء على الجهل لا يكون إلا بإنتشار التعليم وفق ثورة تعليمية تتخلص من سلبيات أنظمة التعليم الحالية .

٢ - كخطة عاجلة - يجب أن تساهم وسائل الإعلام المختلفة في نشر الوعي عامة ، والوعي بأساليب التنشئة الأسرية السوية خاصة ، ويكون الدور الأعظم في هذا الشأن منوطاً بوسائل الاعلام المسموعة والمرئية وذلك لإنتشار الأمية وعدم قدرة الأميين على الإستفادة من وسائل الإعلام المقروءة .

● **خاتمـــــة :**

أن الظروف المختلفة التي يعيشها الوطن العربي وإن بدا إنها لا تتيح لنا أن نحلم كثيراً بمستقبل مشرق للطفولة العربية ، إلا أن إيماننا بهذه الأمة العظيمة يدعونا إلى ألا نغرق في التشاؤم فمازال هناك أمل .

والله الموفق والمستعان

د . كافيـــة رمضـــان

(الهوامـــــش)

● **الدراســـات المشـــار إليهـا :**

☆ دراسة جهاز الدراسات الاستشارية لسمو أمير الكويت - الشباب في الكويت ، الدراسة الأولى الشباب والأسرة - الكويت ، 1986 ، ص ص 82 - 86 .

ودراسة عبد الفتاح القرشي في حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت - الحولية السابعة 1986 ص ص 82 - 85 .

ودراسة محمد جسوس في مجلة الدراسات النفسية والتربوية - عن التطورات العائلية والتنشئة الإجتماعية للطفل المغربي - السنة الأولى - العدد الأول 2 إبريل 1985 ص ص 47 - 59 .

ودراسة نجاة خضر عباس البياتي - مجلة التوثيق التربوي عدد 12 سنة 1985 - ص ص 49 - 56 .

ودراسة سلمى محمود جمعة - رسالة ماجستير - بعنوان دراسة أساليب التربية والرعاية في الأسرة المصرية ، جامعة الاسكندرية - كلية الآداب 1982 .

وجميع الدراسات القطرية عن تونس والعراق ومصر والسعودية والتي تضمنها كتاب الاحتياجات الأساسية للطفل العربي (جامعة الدول العربية ، تونس 1982) وعدد كبير من الدراسات الأخرى .

(المراجـــــع)

١ - مجلة علم النفس - « التنشئة الأسرية وأثرها في تكون شخصية الطفل العربي » - (د . كافية رمضان) . الهيئة المصرية العامة للكتاب - العدد الرابع أكتوبر - ديسمبر ١٩٨٧ .

2 - Carol Seefeldt: Social studies for the preschool - primary child, Second Edition, Charles E. Merril Publishing Company Columbus, Ohio, 1984.

٣ - كافية رمضان ، فيولا البيلاوي - الدراسة العلمية لثقافة الطفل ، المجلد الأول ثقافة الطفل ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت 1984 .

٤ - مساعد الراوي - قمر الدين قرنبع - قراءات في محو الأمية وتعليم الكبار وزارة التربية ، الجمهورية العراقية (د . ت) .

٥ - المؤشرات الديمغرافية وما يتصل بها من مؤشرات إقتصادية وإجتماعية لبلدان منطقة اللجنة الاقتصادية والإجتماعية لغربي آسيا - صندوق الأمم المتحدة للنشاطات السكانية ، بغداد ، حزيران ، يونيو 1985 .

6 - Vital Statistics and life Tables, WLD, HLTH, Statist. Annu 1985.

7 - Compendiam of Social statistics, United Nation, New York, 1980.

٨ - وزارة التخطيط ، ملخص ظاهرة إنتشار الخدم وآثارها الإجتماعية على الأسرة الكويتية والمجتمع (دراسة ميدانية) الكويت ، سبتمبر 1983 .

٩ - المعهد العربي للتخطيط - التكوين الإجتماعي والإقتصادي في الأقطار العربية - أعمال ندوة الخبراء العرب - الكويت - سبتمبر 1981 .

١٠ - منظمة الصحة العالمية - التقرير السنوي للمدير الأقليمي لشرق البحر المتوسط جنيف - 1986 .

١١ - جامعة الدول العربية - الاحتياجات الأساسية للطفل في الوطن العربي - الإدارة العامة للشئون الاجتماعية - إدارة العمل الاجتماعي ، تونس 1982 .

١٢ - هدى محمد قناوي - الطفل : تنشئته وحاجاته - الأنجلو المصرية ، القاهرة 1983 .

١٣ - مصطفى فهمي ، محمد على القطـان - علم النفس الاجتماعي ، مكتبـة الخـانجي القـاهرة 1977 .

١٤ - حوليات كلية الآداب - إتجاهـات الآبـاء والأمهـات الكويتيين في تنشئـة الأبنـاء وعلاقتهـا ببعض المتغيرات (عبد الفتاح القرشي) جامعة الكويت 1988 .

١٥ - عبد الرحمن عيسوي - سيكولوجية التنشئة الإجتماعية ، دار الفكر الجـامعي ، الاسكنـدريـة 1985 .

١٦ - مجلـة التوثيق التربوي - دراسـة مقـارنـة لأسـاليب تنشئـة الأطفـال في السنوات الأولى التي تتبعها الأمهات العراقيات والأمهات المصريات العاملات (ملخص رسالـة مـاجستير - نجـاة خضر عباس البياتي) العدد 12 السنة 1974 .

١٧ - سلمى محمود جمعة - دراسة أساليب التربية والرعاية في الأسرة المصرية « دراسـة مقـارنـة عن أساليب الأسرة في رعـايـة أطفـالهـا في مرحلـة الطفولـة المبكرة في كل من الريف والحضر » (رسالة ماجستير) - جامعة الاسكندرية ، 1982 .

١٨ - هشام شرابي - مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، الأهلية للنشر والتوزيع - بيروت ، 1977 .

١٩ - ميشيل أرجاييل - علم النفس ومشكلات الحياة الاجتماعية ، ترجمـة : عبـد السـتـار ابراهيم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1982 .

٢٠ - الديوان الأميري - جهاز الدراسات والبحوث الاستشاريـة لسمو الأمير - الـدراسـة الأولى - الشباب والأسرة ، الكويت 1985 .